العنف الطلابي بالجامعات السودانية الأسباب والحلول دراسة تحليلية

Student violence in Sudanese universities, causes and solutions: an analytical study

الدكتور: أبكرعبدالبنات آدم*- أستاذ مشارك
قسم مقارنة الأديان
كلية العلوم الإنسانية
السودان

الملخص:

تناولت هذه الدراسة العنف الطلابي في الجامعات السودانية: الأسباب والحلول، علماً بأن ظاهرة العنف من أبرز المشكلات العالمية التي لا يكاد يخلو منها مجتمع سواء وصف بالتقدم أو الرجعية. وهي ظاهرة ماتزال تتفاقم وتنمو بشكل مضطرد حتى باتت السيطرة عليها أمراً مستحيلاً، فالسودان لم يعش في جزيرة معزولة عن هذه الظاهرة،حيث أصبحتالجامعات تعاني الأمرين: العنف والاعتداء على الغير. وقد هدفت الدراسة إلى معرفة الأسباب المنطقية لانتشار هذه الظاهرة، ومحاولة السعي لإيجاد الحلول الموضوعية لها.استخدم الباحث المنهج الوصفي والتحليلي، وأحياناً الاستباطي للكشف عن العوامل النفسية التي تساعد في عدم التوافق بين الطلاب الجامعيين.

الكلمات المفتاحية: العنف- الاعتداء- الأسباب، أنماط مآلات العنف، السودان.

البريد الإلكتروني: abaker2012@live.com

Abstract:

This study investigates the students' violence in Sudanese universities…Causes and solutions, Thus, the violence is one of the international problems any community face it with the progression or backward. This phenomenon still continuing and developing steadily.Sudan did not live in an isolated island for this phenomenon. Thus, the universities faced two problems: violence and assault on others. The study leads to recognize logical reasons for spreading this phenomenon and trying to solve this problem objectively.The researcher used the descriptive and analytical method sometimes, deductive to discover psychological factors that help in disagreement between the university students.

Keywords: Violence- Progression-Problems-Patterns of the incidence of violence, Sudan.

مقدمة

شهدت الجامعات السودانية حالات متزايدة من أعمال العنف بين طلابها، وهو ما بات يعرف بمصطلح "العنف الجامعي"، وبحسب دراسات أكاديمية فإن ذروة تلك الحالات كانت بين عامي 2005-2016، وقد أفضى ذلك إلى وقوع عشرات الإصابات بين الطلبة، حتى وصلت بعض الحالات إلى الوفاة. وقدأخذ شكل العنف حالة من الفوضى السياسية والفكرية والثقافية، وصل أحياناً إلى حد تحطيم الممتلكات الجامعية. وبإعادة النظر لتاريخ الجامعات السودانية لم يشكل العنف الطلابي ظاهرة من الظواهر السالبة، وهذا إن دل إنما يدل على قوة وصلابة البرامج والسياسات التي اتبعتها الجامعات أنذاك في بلورة وتشكيل ذهنية الطالب نحو تحقيق الأهداف الكلية لرؤية ورسالة الجامعة، بصورة تخدم المجتمع السوداني، خصوصاً وأن البرامج الدراسية كانت توضع لتحقيق حاجة المجتمع من حيث التعليم والتوجيه والإرشاد ويسبقها التربية قبل التعليم.

أولا: مشكلة الدراسة:

تواجه الجامعات السودانية اليوم موجة متصاعدة من العنف الطلابي، تجاوزت في حدتها المحيط الجامعي، وتتمثل أهم مظاهرها في الاعتداء على البعض، واتلاف الممتلكات وغيرها. وقد ترتب على ذلك أن أصبحت البيئة الجامعية غير آمنة لعمليتي التعليم والتعلم، بل تحولت الساحات الجامعية إلى بؤر لصراعات ايديولوجية وفكرية وثقافية ساهمت في انتشار ثقافة الهجرة والانضمام إلى الحركات المناوئة للسلطة الحاكمة.

ثانيا: أهمية الدراسة:

تمكن أهمية الدراسة في أنها تساعد في معرفة وفهم تزايد سلوك عنف الطلاب في الجامعات السودانية، والإلمام بالأدوار المهمة التي تساعد في الكف عن تفشي هذه الظاهرة بين الأوساط الطلابية.

ثالثا: أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

* محاولة التعرف على الأسباب الموضوعية والمنطقية في تزايد ثقافة العنف بين طلاب الجامعات السودانية.

* الكشف عن العوامل النفسية التي تساعد في انتشار ثقافة العنف بين الطلاب الجامعيين.

* إلقاء الضوء على العوامل التعليمية والمجتمعية التي تفضي إلى زيادة وتيرة العنف بين الطلاب.

* استنباط الطرق السليمة في معالجة ظاهرة العنف الجامعي.

رابعا: تساؤلات الدراسة:

تسعى الدراسة للإجابة عن التساؤلات التالية:

لماذا تفاقمت ثقافة الخلاف والاختلافبين طلاب الجامعات السودانية، لتصل إلى مرحلة القتل؟ ما هي الاسباب والدوافع؟ وهل وصل الأمر لمرحلة الظاهرة حقاً أم إنها مجرد حوادث أو انفلاتات فردية؟ وما هي العوامل التي أدت إلى انتشار ثقافة العنف الطلابي؟ وهل لغيابثقافة الحوار والتعايش والتسامح دور في تأجيج حدة الصراع الفكري؟ وكيف يمكن تلافي هذه المشكلة على ضوء تطور ثقافة المعرفة؟ وما هي الوسائل التي يمكن من خلالها مواجهة هذه الظاهرة الخطيرة؟ وهل للانتماء الحزبي دور في تزايد ثقافة العنف الطلابي؟ وإلى أي مدى يمكن اعتبار التكوين الإثني والقبلي مؤثراً في هذا المضمار؟

خامسا: منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي والتحليلي، واحياناً الاستنباطي لمعرفة العوامل المؤدية إلى تزايد ثقافة العنف بين الطلاب في الجامعات السودانية على سياق المتغيرات الداخلية والخارجية للسودان.

سادسا: حدود الدراسة:

تقتصر حدود الدراسة على الجانبين الموضوعي والمكاني للجامعات السودانية.

سابعا: فرضيات الدراسة :

إنّ مشكلة العنف الطلابي في الجامعات السودانية ليست منفصلة عن الحركة التاريخية للسودان، وعليه فإن فهم هذه الظاهرة يستلزم معرفة التكوين المجتمعي لكل جامعة، فهنالك عوامل متشابهة ومعقدة يصعب ردها إلى سبب واحد. وعندما فشلت الأوساط التعليمية

والإدارية والسيادية في إدارة الظاهرة استمر تأثير العنف حتى شمل المجتمع السوداني بأثره، نتيجة للتباين في أوجه النظر والتحليل لهذه القضية، وحينها تم تسييس المشكلة حتى أصبح المحيط الجامعي ساحة لكل من يريد أن ينشر الفوضي والتعصب والميل إلى الانحراف الثقافي.

ثامنا: مفهوم العنـف:

1- العنف لغة: العنف هو ضد الرفق(ابن منظور، 1979م:332)، وفي الحديث:" إن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف"، وقال صليبا أنه الشدة والقسوة(فولكي، ب. 1988م:324). والعنفViolence مشتق من الكلمة اللاتينية Vis التي تعني حمل القوة، أو تعمد ممارستها تجاه شخص أو شئ ما(أبو الحسن،2008م:687).

2- اصطلاحاً: هو عبارة عن سلوك سيء يقوم به الفرد اتجاه نفسه أو اتّجاه الآخرين مسبباً لهم الأضرار سواء كانت نفسيّة، أو ماديّة، أو جسديّة.بمعنى آخر هو تعبير عن القوة الجسدية التي تصدر ضد النفس أو ضد أي شخص آخر بصورة متعمدة أو إرغام الفرد على إتيان هذا الفعل نتيجة لشعوره بالألم بسبب ما تعرض له من أذى.أيضاً قيل بأنه يشير إلىممارسة الضرب، والمعاملة السيئة التي هي أمر ظاهري والتي تترك وراءه بصمات غير مرضية.وجاء في قاموس العلوم الإنسانية بأنه فعل خشن(فظ) يهدف إلى الضغط وإرغام الآخرين على الانصياع والطاعة.ويرى "PouseSwttz" أن هنالك علاقة بين العنف والحرب لأن الأخير هي فعل من أفعال العنف، تهدف إلى إجبار الخصم اللامتثال لتعاليمه وتوجيهاته . وعرّفه خليل(1380هـ:84):" بأنه الإيذاء باليد أو باللسانأو بالفعل أو بالكلمة، من خلال التصادم مع الآخرين".فالعنف كظاهرة سيكولوجية إجتماعيةتتداخل مع مصطح العدوان على اعتبار أنهما مصطلحان مترادفان أحياناً في التعريف بالرغممن وجود الفرق بينهما، وذلك لرفع اللبس عنهما. ويقول: "RoKerber" في جوهر مفهوم العنف أنه يتضمن إختلالاً من قوامه بالذات، فهو يطرح مشكلة أخلاقية(Kerber, R. 1972:94)، ومن خلال تلكالتصور نستخلص مايلي:

1. للعنف عدة أشكال وصور،منها ماهو مادي وآخر معنوي.
2. العنف هو المساس بحريات الآخرين.

وقد عرّف القاموس الفرنسي المعاصرالعنف بأنه يعني التأثير على الفرد، وإرغامه على العمل رغم أنفه، دون إرادته باستعمال القوة أو التهديد بالفعل(Robert,1978:209)، كما عرّف آخرون بأنهممارسة فعل من الأفعال تؤديإلى تغيير ميزان القوة عند الإنسان، وهو نقيض السلم الاجتماعي،وفي هذه الحالة يمر الإنسان بحالة يجعله في موضع الريبة والشك. وبناءً على تلك المعطياتفإن من أهم معاني العنف اصطلاحاً هي:(Michaud,1983:29).

- صفةتبرز أو تتكون وتخلق معها عوامل القوة والشدة والقسوة والقهر، وهي في أكثر الأحيان ضارة ومهلكة للإنسانية.
- صفة الشعور بالإكراه.
- صفة لشخص له إستعداد تام لاستعمال القوة، ويتصف بالعدوانية.
- صفة مبالغة في إستعمال القوة المادية.
- صفة لمجموعة من الأفعال والتصرفات التي تستخدمفيها القوة من خلال بناء علاقات عدوانية حادة.

أما العدوانAggression فهو الاعتداء على الآخر، ويقال عدا عليه عدواناً أي ظلمه وتجاوز الحد (الرازي، 1983م:1458). والعدوان هو تجاوز الحدود في المعاملة والخروج عن العدل، وقد يكون بالقول كما يكون بالفعل. وقيل أن العنف صورة من صور العدوان(الجاسور،2008م:432) وهما يبدأن بالغضب والانفعال الداخلي، ثم التنفيس بالقول ثم باستخدام اللسان واليد.

تاسعا: الفرق بين العنف والعدوان:

لقد خلق الله تعالى البشرية من نفس واحدة، وبعد صراع وغواية الشيطان اختلفت فلسفة الإنسان ونظرته للحياة نتيجة لتأثره بالعوامل الطبيعية والبشرية. ولقد انحرفت الإنسانية عبر العصور عندما غابت ميزان عدالة السماء، فأوقعت الكثيراً من الظلم على مجتمعاتها، وكان من أبشع أنواع الظلم هو العنف بمستوياته المختلفة.

ويرى بعض علماء النفس والاجتماع أن العدوان هو التصرف العدائي لشخص أو مجموعة من الأشخاص للآخرين. وفي معناه الأوسع يشير إلى الصفة الأساسية التي بفضلها يستطيع الكائن الحي إشباع رغباته المادية والمعنوية. كما أعطت موسوعة Quilletللعدوان

عدة تعريفات منها :هو"الفعل الذي يهاجم الأول إثارةً أو تحريضاً " (Sillang,1980:01).

فالعدوان هو فعل يحمل صبغة العداوة، ويهدف إلى جرح الآخرين، وإلحاق الضرر بهم أو معارضتهم(Cresel,1990:34).

لكذلك هو مجموعة من الميول تهدف إلى التخريب، إلزام الغيربالإكراه(خليل،1380هـ:90).

فبعد الاطلاع على مفهومي العنف والعدوان وجدنا أن هناك تداخل بينهما،فهنالك من يرى أن كلاهما مستقل عن الآخر، والبعض حاول أن يجعل لكل مفردة معناً مختلفاً على النحو التالي:

1. العنف محدد، وهو صورة من صور العدوان.
2. العدوان أشمل وأوسع من العنف.
3. العنف يعتمد على القوة.
4. العنف ليس بالضرورة الاعتماد على القوة فقط، فقد يكون بصورة نقاشية بسيطة.
5. العدوان يهدف إلى السيطرة على الآخرين، كما يهدف إلى الموتوالإذلال والإخضاع.
6. العدوان هو التطاول على حرية الأخرين.
7. العنف يكون مؤقتا ويأتي كرد فعل لأسباب معنية، وقد يزول بزوال السبب.
8. العدوان هو طبع دائم يتصف به البشرية.
9. العنف مقرون بالظلم والدفاع عن النفس.
10. العدوان مقرون بالظلم فقط.

ومن خلال تلك التعاريف يرى الباحث أن العنف ليس مجرد التعدي جسدياً على الغير، بل هي ممارسة تشمل العديد من الأشكال والأفعال على الجانبين المادي والمعنوي،بهذا يمكن القول أن العنف والعدوان يهدفان إلى إيذاء الغير، وإلحاق الضرر وخرق الحريات الفردية والجماعية، كما تعتبران صورة للظلم المنتشر في المجتمعات الجامعية.

عاشرا: مآلات العنف:

لقد دعا الإسلام إلى اللين واللاعنف في شتّى مجالات الحياة، وقد أكد على تجنّب دواعي العنف وأسبابه الرئيسية التي غالباً ما تؤدّي إلى فساد العباد ودمار البلاد. وحيث إنّ الإسلام يروم للبشرية سعادتها الأبدية التي لا تتحقّق إلاّ تحت ظلال اللين واللاعنف، فإنّه أخذ يحذّر بشدّة من أسباب العنف والبطش التي لا تجني البشرية منها سوى الويل والضياع. فمن أبرز الأسباب المولّدة للعنف الصفات الذميمة التي ورد النهي عنها: كالغضب، والحسد، والعصبية، والبغي، والحقد، والغيبة والنميمة، والتنابز بالألقاب، وعلى ذلك يمكن إجمال الأسباب في الآتي:

1. **أسباب داخلية وخارجية:** يرتبط العنف بالأجواء العامة المشحونة بالاحتقان السياسي والاجتماعي الذي يسود الوطن... فعلى الصعيد الخارجي، تمثل حالة الاختلاف والاستقطاب السياسي أحد أبرز أسباب العنف بين طلاب الجامعات، وهذا النموذج تشكل العقبة الكؤودةفي كثير من المجتمعات الجامعية المركزية والولائية، والملفت للنظر في هذا السياق، أن الانتماءات الإثنية والقبلية كثيراً ما تساهم بشكل كبير في تأجيج العنف الجامعي، هذا بالإضافة إلى الشعور بالكبت، والانهزام الذاتي، والإحساس الدائم بالنقص المادي والاجتماعي، فيقارن بين ما عنده وما عند غيره ويحاول لفت الانتباه حتّى لو كان بالطرق الخاطئة. هذا بالإضافة إلى عدم استغلال الطلاب وطاقاتهم لنهضة الأمة ورفعتها، وزيادة أعداد العاطلين عن العمل في صفوف الطلاب ممّا يؤدّي إلى انتشار العنف في المجتمعات الجامعية،نتيجة جهلهم بعواقب العنف وأضراره على النفس، والأفراد، والمجتمع، كذلك من أخطر الأسباب استغلال الدين في تحقيق الأهداف الحزبية.

وهذا مرده إلى عدم الفهم الصحيح للدين. وغياب الوازع الدينيّ والأخلاقي في الممارسة السياسية، وأيضاً التأثر بالجماعات والأصدقاء في ظل التحالفات الحزبية..

2. **عدم احترام الرأي الآخر:** ليس هناك أحد ينظر إلى العنف باعتباره ثقافة لعلاج الكثير من الأمراض المجتمعية التي تظهر بين الفينة والأخرى، واوضح مسببات العنف الطلابي هو عدم احترام الرأي الآخر نتيجة لاختلاف المزاج الفكرى والسياسي، أو تباين البيئات التي وفدت منها هؤلاء الطلاب.

هذا بالإضافة إلى عدم حصول الطلاب على جرعات تعليمية كافية لسدأوقات فراغهم،وفي هذه الحالة يشعر الطلاب بعدم وجود الرضا النفسي، الامر الذي يؤد ي إلى الجنوح نحوالعنف.والذي يمكن قوله، إن ظاهرة انعدام الاحترام لا تقتصر على الجامعات والمعاهد فحسب بل امتدت لتطال كل فئات المجتمع السوداني، لذلك من الضروري بمكان إعادة النظر في الميزان التربوي والتعليمي، والعمل على توفير اسباب قبول الآخر.

3. الشحن الزائد من الجرعات السياسية :شكلت الاختلافات السياسة بين مكونات الأحزاب السودانية جزء من ثقافة العنف في الجامعات، مما أدى الى انتاج حالة منالفوضىبين أوساط الطلاب،الأمر الذي أفضت فيما بعد إلى تفشي ثقافة استخدام القوة والتشريد، فالبعض من هؤلاء الطلاب يأتون من بيئات مضطربة، ومناطق صراعات ونزاعات وحروب، فعندما يجدون هذا الجو الملئ بالمشاجراتوالمناكفات السياسية يستمرون فيها بحماس زائد،هذا بالإضافة إلى أن معظم هؤلاء الطلاب هم في المراحل الأخيرة من المراهقة، ولديهم طاقة جسمانية وفكرية عالية يريدون تغريقها، وفي ظل ضعف التوجيه التربوي والتعليمي يوجهون هذه الطاقة نحو ممارسة العمل السياسي بطريقةيجعلهم يرتكبون الأخطاء الفادحة والكبيرة.فالتجاذبات بين الكوادر السياسية للأحزاب بالجامعات السودانية سواء في فترات سابقة أو آنية ساعدت في انتشار ثقافة العنف وأصبح فيما بعد جريمة مفتعلة بين الأحزاب فكل كادر يناصر حزبه، ويحمي مبادئه ففي هذه الحالات كثيراً ما يفلت الجاني الحقيقي من العقاب لأن مثل هذه الجرائم دائماً تحدث أثناء ممارسة الفوضى السياسية، وفي أغلب الحالات يكون المتهمون ابرياء، وعلى هذا المنوال تتحول جرائم العنف والقتل من ساحات النشاط السياسي الجامعي إلىالمجتمع السوداني عامة، فأي انفلات في الجامعات يقود إلى تدمير العملية التعليمية ومن ثم النسيج الاجتماعي بالبلاد.

4. غياب الرقابة الأسريةوالمجتمعية: إن غيابالرقابة الأسرية والمجتمعية أثركبير في استقرار الجامعات، فالأسرةممثلة في الوالدين مشغولان بهموم الحياة والضغوط الاقتصادية أكثر من الهموم التربوية والتعليمية، فالطلاب وهم في هذا العمر، يقضون جُلّ أوقاتهم مع الوسائط الإعلامية والالكترونية الحديثة،مما جعل الجو المحيط بهم عنيفاً، أما اليوم فان تلك الضغوط المعيشية جعلت الشباب مثلاً في عجلة دائمة من أمرهم يريد الواحد منهم بلوغ هدفه بأقصر الطرق، وهذه العجلة تدفعهم لاتخاذ قرارات غير صائبة وغير مدروسة، فهنالك

منيأخذ في جيبه سكيناً أو سلاحاً، لم لا طالما أن الثقافة والقراءة والاطلاع ليس لهما مكاناً في حياته.فالطالب في كثير من الأ حيان لا يدخل المكتبة حتى التخرج، فهو يعتمد على المذكرات، فالسؤال من المسؤول عن هذا التدهور الفكري والثقافي؟والغريب في الأمر هنالك بعض الطلاب لا يحضرون المحاضرات ويمتحنون وينجحون، لذلك من البديهي أن يصبح الاعتماد على ثقافة العنفهي السمة الغالبةلأنهم يعتمدون على الفضائيات في ملئ أوقات فراغهممما اضحت مكوناً لشخصية كثير من الطلاب ، فلابد للمجتمع والأسرة أن تعيد النظر في أمر هؤلاء الطلاب ، فليس في الإسلام حرية مطلقة مادام هنالك مقاصد للتشريع الإسلامي، وكليّات خمس تنظم حاجة الإنسان في هذه الحياة.

4. التغيرات البيولوجية والنفسية والسلوكية: يرى بعض الخبراء أن السبب الرئيسي للمشاجرات الطلابية الجماعية هو الشحن العاطفي المرافق للممارسة السياسية، والحشد الحزبي، والتنافس التي تشهدهاالساحات الجامعية أثناء وبعد الانتخابات، والذي كثيراً ما يتحول إلى صراع في بعض الأحيان. الأمر الذي دفعتبعض الجامعات بالتفكير جدياً في تجميد الممارسة السياسية التي كثيراً ما يسبب توتراً يزيد من فرصة نشوب العنف الطلابي.فكل مجتمع يمر بمرحلة انتقالية على سياق التطور العمري بالنسبة للطلاب - لذلك يجب أن يكون سلطة الأبوية مسيطرة في جميع المراحل العمرية للطلاب، وحسب النظرية النفسيةالاجتماعية فإن الإنسان يكون عنيفاً عندما يمارس العنف في مجتمعهفي شكل سلوك وقيم وثقافة(حجازي،ب.ت تاريخ: 24).وبناءً على ذلك فإذا انعدمهذا الدور الأسري والمجتمعي فإن الجامعةتصبح الأرضية الخصبة المصب لجميع الضغوطات النفسية والسلوكية فيأتي الطلاب المُعنّفون من قبل الأهل والمجتمع المحيط بهم إلى الجامعات ليفرغوا الكبت القائم،ويقابلهم طلاب آخرون يشابهونهم الوضع بسلوكيات مماثلة وبهذه الطريقة تتطور حدة العنف ويزداد انتشارها، كما في داخل الجامعة تأخذ الجماعات ذوات المواقف المتشابه حيال العنف شلل وتحالفات من أجل الانتماء مما يعزز عندهم تلك التوجهات والسلوكيات، فإذا كانت البيئة خارج الجامعة عنيفة فأن الجامعة ستكون عنيفة، فالطالب في بيئته خارج الجامعة يتأثر بثلاث مركبات وهي: العائلة والمجتمع والإعلام وبالتالي يكون العنف الجامعي هو نتاج للثقافة المجتمعية.

كما تشير بعض الدراسات الميدانية إلى أن معظم المتسببين بحالات العنف الجامعي هم طلبة غير منضبطين أكاديمياً، يتغيبون كثيراً عن المحاضرات، لا يتابعون دروسهم، ويقضون وقتهم بالشغب في الحرم الجامعي، وعادةً ما يشكون من الإحباط والفراغ وفقدان الهدف، ويتسببون في كثير من الانحرافات الطلابية رغم أنهم فئة قليلة مقارنة ببقية الطلبة(محسن،2006م:12)، وعلىهذا، فإن العنف له تأثير سلبي على مناخ الحياة الجامعية، مما يجعل ساحة الجامعاتتشكل خطراً كبيراً للوافدين إليها،الأمر الذي إذا استمر بهذا السلوك فسينقلالظاهرة إلى المجتمع بعد تخرجهم. بل أن ثقافة العنف تولد أفكاراً سلبية في المعتقدات التي تكون دائماً (كامنة) ، لأن تكوينها يأتي اصلاً من أسلوب تنشئة الوالدين كأن يكون أحدهما عنيفاً أو يعيش اضطراباً نفسياً وهذا الاسلوب لا يقتصر على الوالدين فقط بل قد يتعداهما إلى سواهما، فالذين عاشوا تحت وطأة الحروب والصراعات نجد أن العنف فيهم سمة أساسية وقد يكون كامناً وليس ظاهراً يكبل الإنسان فيظهر أثره في البيت أو في الجامعة بصورة عنيفة. فالطلابواليوميعانون الأمرين الاضطراب والكبت النفسينتيجة ظروف اقتصادية أواجتماعية.

5.غياب قيم التسامح والتعايش: إن ظاهرة العنف لا ترقى للتعميم، فأي مجتمع لا يخلو من الجريمة، ولكل جريمة دوافعها، فحينما يُقبل طالب على العنف مع زميلهلا يدرك قيم التسامح بين البشر، فالطلاب الذين يأتون من بيئات وأماكن مختلفة من السودان، يغيب عنهم قيم التعايش والتسامح لأنهم يأتون من بيئات مضطربة،فهم يُعرّضون لكثير من الاستفزازات المناطقية أو العنصرية، وهذا بدوره يؤدي إلى اشعال فتيل العنف بصورة سافرة، ومن ثم القتل كأن تسيء لشخص في قبيلته أو في أهل بيته بألفاظ نابية، أو تجرحه في ذاته بأساليب الاستخفاف المختلفة، كل تلك الملاحظات تفضي إلى نتائج مشينة، في ظل غياب القانون واللوائحالتي يمكن أن تكون محل تقدير واحترام.

6. التعصب للقبلية: ذهببعض الخبراء أن السبب الرئيسي للعنف في بعض الجامعاتيعود إلى التعصب للإثنية والقبلية بشكل عام، مما يظهرفي كثير من الأحيان إلى عدم تقبل الآخر الأمر الذي يزيد من حدة الظاهرة. وتصل في بعض الأحيان إلى مرحلة العراك بالأيدي أو بالأدوات الحادة، أو إطلاق للنار بهدف إظهار القوة وتخويف المنافس. وفي حالات أخرى تقوم بعضالمجموعات بمحاولة إغلاق الأبواب،وتحطيم الممتلكات، كل هذه

الأساليب والوسائل تؤدي إلى تقويض الاستقرار الجامعات بصورة خاصة، والمجتمع السوداني على وجه العموم.

7. عدم مراعاة الفروق الفردية: في كثير من الأحيان لا نعطي أهمية للفروق الفردية التي تظهر بين الطلاب في المراحل الجامعية المختلفة. وحسب نظرية الدوافع فالإحباط هو الدافع الرئيسي من وراء العنف، إذ أنه بواسطته يتمكن الفرد من أنيشعر بالعجز الفكري. فهناك العديد من الأمور التي تؤثر على مواقف الطلاب اتجاه تزايد ثقافة العنف، بحيث نجد من يرفضه، ومن يوافق على استخدامه، وكلٌ له فلسفته المزاجية، وهذا ينبع من عدة عوامل متشابكة كالبيئة والثقافة السائدة والجنس والنزعة الدينية وغيرها.وقد يشكل الدين عنصراً أساسياً في حياة الأفراد، فمن الصعب تجاهل عامل تأثيره على النوازع الذاتية للإنسان، خاصة حين يميل الشخص إلى إيذاء الآخر.

8. تدهورالبيئة التربوية والتعليمية : إن عدم وضوح القوانين واللوائح الجامعية، جعل الطلاب لا يعرفون حقوقهمووواجباتهم نحو أنفسهم واتجاه مجتمعاتهم الذين وفدوا منها، كل ذلك يخلق العديد من الإحباطات ، الأمر الذي يدفعهم إلى القيام بمشاكل سلوكية تظهر بأشكال عنيفة تدفع البعض إلى الانحراف القيمي والأخلاقي، وأحياناً أخرى إلى التطرف والغلو في الدين.

حادي عشر: أنماط العنف الجامعي:

1. العنف اللفظي: وهو في مجمله عنف لغوي، فيه خروج عن نواميسالاحترام وقبول الآخر،أو عن الاستعمالات العادية، وينقسم إلى صنف فيه سباب بإيحاءات جنسية، وصنف فيه سباب ديني. وتحدثهذه الظواهر من خلال فقدان الوازع الديني والاجتماعي، وضعف الدور التربوي في ظل تغيّر صورة القدوة الحسنة. وقد فسرها بعض علماء النفس والاجتماع بأنه يشكل حالة من حالات الكبت النفسي.

2.العنف غير اللفظي:وتأتي نتيجة لتحقير الآخرين، والاستهزاء بهم، والسخرية منهم، والإهمال بشخصياتهم، والتفرقة والتمييز... وغيرها(حجازي، ب.ت: 33). ومن أهم مظاهرها:.

* العنف الحركي من خلال القيام بحركات غير إنسانية.

* التخويف والميل للمجموعات العنيفة.

* العنف السياسي والعقائدي والايديولوجي الذي يبدأ بتفاقم الأزمة وافتعالها.

3. العنف التواصلي: يقصد به التأثيرات السلبية التي يتعرض لها الطلاب أثناء التعليمسواء مع بعضهم البعض أو مع الأساتذة داخل المؤسسات الجامعية، ففي الغالب تحدث عند غياب الحوار بين العناصر المكونة للمنظومة التعليمية، فالعنف التواصلي يعني أن الطالب لا يستطيع التعبير عن أفكاره وأطروحاته وتصوراته مما يجعل من الصعب عليه تقبل الآخر(الأستاذ أو الإدارة)، الأمر الذي أدى إلى تفشي السلوك غير السوي خاصة بعد اهتمام الطلاب بالوسائط الاتصاليةفي نقل وتبادل المعلومات، وهو الذي دفع بعض الطلاب في الانخراط نحو ممارسة الجوانب السلبية،حيث اعتمد الكثير منهم على فضاءات التواصل الاجتماعي، مما ساهم في ظهور نوع جديد من ثقافة العنف أصبح يشكل عقبة في المجتمعاتالجامعية، مثل توجيه رسائل التهديد عبر الهواتف الجوالة أو إنشاء صفحات على الشبكات العنكبوتية للتحريض وتشويه السمعة، والدعوة إلى افتعال الفوضى، هذا بالإضافة إلى نشر الصور الفاضحة، وبث الرعب في نفوس الأبرياء منهم.

4. العنف تجاه الذات :يظهر هذاالنوع من العنفعندما يشعر الطالببالعزلة والاكتئاب المفرط والإحساس بأنه منبوذ بين زملائه، مما يدفعه إلى الجنوح نحو التطرف مع الذات، أي الميل نحو الانحراف السلوكي(التدخين والمخدرات) .وقد يصلإلى حد الانتحار حين يحس بأن حياته دون جدوى. فاليوم يعتبر من أخطر أنواع العنف في الأوساط الجامعية.

اثنى عشر: الأثار المترتبة على العنف الطلابي:

* **الأثر النفسي والسلوكي:** يرتب على هذه الخاصية عدة أثار نفسية وسلوكية منها:

1. الكبت النفسي: إنَّ لكل فعل رد فعل ويكون ذلك إما لفظاً أو بغير لفظ، وهنا يستخدم الطالب ميوله العاطفية دون الفكرية في ممارسة العنف.

2. الكذب: حينما يشتد العنف يميل الطالب إلى الكذب للخروج من ويلات المؤامرة.

3.المخاوف: ويظهر جلياً عندما يفشل الطالب في تحقيق غاية العنف بأنواعه، فينتابه الخوف من المسائلة والعقاب.

4. العصبية والتوتر الزائد الناتج عن عدم إحساسه بالأمان النفسي.
5. تشتت الانتباه وعدم القدرة على التركيز.
6. تكوين مفهوم سلبي تجاه الذات وتجاه الآخرين.

*** الأثر الاجتماعي:** أصبحت دور طلبة الجامعات بشكل مستقل إحدى الفئات التي تساعد في تنمية المجتمعات ورقيها، فإذا ما أصبح طلاب الجامعات يمارسون بعض عمليات العنف الاجتماعي في عدد من الجامعات السودانية، بدون شك، سوف يهددون كل أنواع التنمية البشرية ، وبالتالي يتحول المجتمع السوداني المعافى من نوازع الشر، إلى مجتمع يصدر منه الشر، ومن هنا فإن الطلبة كشريحة اجتماعية يحتاجون إلى السلم والتعايش، والاعتراف بالآخر، ولا يمكن تحقيق تلك الآمال إلاّ بتجويد النظم والمناهج التعليمية، وتوسيع دائرة المشاركة السياسية لتحقيق العدالة الاجتماعية، ومحاربة الفساد... وفي هذهالمعضلةنريد أن نوازنبين المطالب العامة والخاصة، دون التأثر بحالة الاستقطاب السياسي بين التيارات الموجودة في السلطة ونظيرتها المناوئة لها، وهذا ما جعل العنف الطلابي أقرب إلى حالة "الغضب المزدوج".

فالطلاب بشرائحهم المختلفة تمثلهم شرائح سياسية مختلفة، غير أنَّ الكثيرين منهم لم يستوعبوا المبادئ الأساسية للممارسة السياسية، ولم يتعمقوا في الجوانب الفكرية والثقافية والدينية التي تحفظ للجميع كرامتهم الإنسانية، لأنهم يفتقرون لمعلومات كافية حول الأحزاب التي ينتمون إليها، بل معلوماتهم سطحية، فإذا كانتلديهم بصيرة واعية بشأن هذه المؤسسات الحزبيةلما جنحوا نحوالعنف. ومن أخطر أثار العنفعدم الشعور بتقدير الذات، والتعرّض للخطر، والتعثرات الحياتية والاجتماعية، الإصابة بالقلق والاكتئاب. أضراره على المجتمع: ضعف المجتمع، وزيادة الجرائم.

فإذا نظرنا للماضي ليس هنالك عنف يذكر بالمعني المعروف اليوم لسبب واحد هو أن الطلاب كانوا يعرفون كيف يتم مخاطبة القلوب قبل العقول بمبادئدينية عالية في الفهم والإدراك، وبالتالي يتناولون القضايا السياسية تناولاً عميقاً وليس سطحياً، أو حفظ لشعارات لا تمد للوطنية بصلة، كذلك كانوا يدركون معايير النقاش والجدال داخل الجامعات والتي من أهمها: الفهم والاحترام المتبادل بين الآخرين، بل كانوايحترمونقدسية المؤسسة التي ينتمون إليها. فإذا أردنا الخروج من هذه المعضلة الصعبة على الطلاب فهم الممارسة السياسية

بشكل جيّد، ووضع الضوابط والآليات التي تحقق الأمن والأمان للمجتمع السوداني عامة وعلى المجتمعات الجامعية بصفة خاصة،ولا يتأتى ذلك إلاّ بالدراسة والقراءة المتأنية لمشكلة العنف الطلابي. أيضاً علىالقائمينبأمر هذه الجامعات توفير بيئة ملائمة للحوار والنقاش والجدال،وعلى الأحزاب السياسية المختلفة تربية عضويتها بالثقافة الحوارية المثمرة، وذلك لأن هؤلاء الطلاب هم سياسيو ا المستقبل فلابد من تعليمهم كيفية الحوار والنقاش والاحترام، على أن يكون الهدف هو مصلحة الوطن.

وعلى ما سبق، فإن العنف الذي نلاحظه بالجامعات السودانية لا يمكن تعميمه بشكل مطلق على جميع الطلاب، فلكل طالب ظروفه النفسية التي يعاني منها سواء كانت تتعلق بمشاكل محيطه الأسري أو الاجتماعي أو محيطه العملي، ولا يختلف اثنان أن هذه الجوانب المحيطة بالطلاب هو الذي يشكل العقلية الفكرية والثقافية لهم، فهناك شخص يأتي بمشكلة أسرية للجامعة ربما يكون ترجمتها على أقرب شخص بالتشاجر مع الآخر، أو الاعتداء عليه للتخلص من الضغط النفسي الذي يحيط به، وذلك إمّا لفظاً أو ضرباً. ففي مثل هذا المناخ المليء بالغضب والمشحون بالعدوان يرتكب الطالب جريمة قتل دون أن يكون هدفه الانتقام من الشخص المقتول، ولكن رغبة منه في الخروج من الكبت النفسي، ومن هنا يتفاجأ الشخص الجاني بموت زميله، بالرغم من أنه لا يرغب في قتله بقدرما كان ينوي الانتقام.

ثلاثة عشر: وسائل العلاج:

إذا كانت هذه هي بعض الأسباب التي نتجت عنها ظاهرة العنف بين طلابنا الجامعيين، فلا شك أن معالجة تلك المشكلة لا يكون إلا بمعالجة هذه الأسباب والبحث في نشر ثقافة تربوية وتعليمية عند الآباء والمربين في كيفية التعامل مع الظواهر السالبة التي لا تمد الدين بصلة.

كما أن نشر ثقافة التراحم والتفاهم والتواددونبذ التشدد والاعتماد على العقل يساعد في نبذ الاعتماد على العضلات في حل المشكلات، ومن هنانناشد المسؤولين في إدارة الجامعات في وسائل الإعلام الالتفات إلى كل ما يقدم مصلحة المجتمع السوداني؛ والعمل على ترسيخ عقائد ومفاهيم لا تخرج عن عادات وتقاليد، والتركيز الشديد على إدانة العنف وسياسة أخذ الحقوق بالقوة دون الرجوع إلى القوانين والضوابط الموضوعة(إمام، 1979م:34).وإذا كانت

البطالة سبباً مؤثراً في هذا الباب فإيجاد فرص عمل وشغل الخريجيينبما يفيد، وتيسير مصادر دخل وأسباب بناء الأسر ضرورة من ضرورات حل هذه المشكلة. كذلك نشر سياسة الحوار بين الطلاب والجهات المعنية، ودراسة المشكلات بكل شفافية وترك الفرصة للطلاب ليتحدث عن نفسه وعن حاجاته، وأن يكون المسؤولون عنهم ممن هم أقرب إلى أعمارهم وأفهامهم وعقولهم، وأعرف بمتطلبات مرحلتهم.. مع الشفافية والصدق في إيجاد حلول حسب الإمكانيات المتاحة والمتيسرة لدى الدول، دون الوعود البراقة والأماني الكاذبة والتي تعود بمردود معكوس وغير مرغوب.

الخاتمة :

أوضحت الدراسة أن العنف صفة غير تربوية تظهر عند الطلاب الجامعيين عندما تغيب الوسطية في التدين، فإذا أردنا أن نخرج من هذه المعضلة الصعبة على الطلاب أن يحملوا همومهم التعليمية أولاً، ثم العمل على ممارسة الأنشطة اللاصفية بنوع من المسؤولية الجماعية حفاظاً على المؤسسات الجامعية، ولا يمكن تحقيق تلك الغايات إلاّ بوجود ثقافة تربوية(مرنة)،ومن خلال الحوار والنقاش والمجادلة بالتي هي أحسن،وعلىالأحزاب أن تخرج من كبوتها الضيقة(العنف) إلى التوافق نحو السلوك الحضاري، والابتعاد عن إستعمال أسلوب القهر الذي يؤدي إلى الشعور بانعدام الأمن والأمان.وقد خلصت الدراسة إلى نتائج وتوصيات، منها:

النتائج :

أكدت الدراسة إن ممارسة العنف في الجامعات السودانية أصبحت ثقافة بات من الصعب التعامل معها. فالطلاب اليوم يعانون من ويلات الانحراف الثقافي لتأثرهم بمحيطهم الداخلي والخارجي، ويظهر ذلك جلياً في تصرفاتهم وسلوكهم وثقافاتهم السياسية والاجتماعية والفكرية، مما أثر مسيرتهم العلمية والعملية.

التوصيات :

وعلى ما سبق، يجب على طلابنا تجنب الوقوع في مزالق العنف، والامتثال إلى الوائح والنظم التي تساعد في المحافظة على استقرار الجامعات، والنظر في توحيد دساتير ولوائح الجمعيات والاتحادات الطلابية، ومراجعة النظم الأساسية التي تنظم سلوك ومحاسبة

الطلاب، والاهتمام بالمتغيرات الداخلية والخارجية التي تواجه الدولة السودانية. ومن خلال الدراسة والتمحيص يجب العمل على الجانب الوقائي بحيث يتم مكافحة العوامل المسببة للعنف، والتي من أهمها:

1. نشر ثقافة التعايش التسامح من خلال الحوار والنقاش والمجادلة بالتي هي أحسن.
2. نشر ثقافة حرية التفكير وإبداء الرأي والتركيز على الجوانب الإيجابية في شخصية الطالب، واستخدام أساليب التعزيز الذاتي.
3. مناقشة الخصائص النمائية للطلاب، وضرورة معرفة المطالب النفسية والاجتماعية لكل مرحلة.
4. ضرورة إستخدام مهارات التواصل الفعالة القائمة علي الجانب الإنساني، والتي من أهمها حسن الاستماع والإصغاء وإظهار التعاطف والاهتمام بالآخر.
5. فرض مساق إجباري ضمن الخطة الدراسية للطلبة لتوعيتهمبالقيم الإسلامية التي تستند على المحبة والتكافل والتسامح والوسطية في الدين، ونبذ كافة أشكال العنف والتطرف والعصبية القبلية(أخلاقيات المهنة).
6. الاستعانة بعلماء النفس والاجتماع للمساهمة في وضع مناهج تعليمية تعالج
7. قضايا القيم الاجتماعية.
8. إعادة النظر في دور القائمين على الأمن الجامعي، وأسس قبولهم وأعمارهم، وزيادة أعدادهم، وإخضاعهم لمزيد من الدورات التأهيلية.
9. الاهتمام بالأنشطة اللاصفية.
10. قيام المؤسسات التعليمية بمختلف وسائلها وقنواتها بدور التوعية والإرشاد عبر المناهج الدراسية والبرامج الثقافية والإذاعية.. لتوضيح الآثار السلبية من جراء انتشار هذه القضية المستفحلة كإحدى المشكلات والأمراض الاجتماعية وأثارها على التنمية الوطنية.
11. وضع خطة إستراتيجية وطنية متكاملة بمشاركة من جهات أكاديمية من مختلف المؤسسات التعليمية.

المراجع

1. ابن منظور(1979م). لسان العرب.دار المعارف،القاهرة،ط1ج8.
2. أبوالحسن،أحمد بن فارس(2008م).معجم مقاييس اللغة.دار إحياء التراث العربي،بيروت،ط1.
3. إمام،إبراهيم(1979م). الإعلام الآلي والتلفزيون. دار الفكر العربي،بيروت،ط1.
4. بول فولكي(1988م).القاموس التربوي.دار إحياء العربي،بيروت،ط1
5. الجاسور،عبدالواحد(2008م).موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية.دار النهضة العربية،بيروت،ط1.
6. حجازي،يحي(بدون تاريخ). المساعد في التعامل مع العنف المدرسي وحل الصراعات. مركز الشرق الأوسط للديمقراطية واللاعنف، بيت حنينا، القدس،ط2.
7. خليل، أحمد خليل(1380هـ). المفاهيم الأساسية في علم النفس الحداثة. بيروت، مكتبة دار القلم، ط2.
8. الرازي،أبوبكر عبدالقادر(1983م).مختار الصحاح.دار الرسالة، الكويت،ط1.
9. محسن،صالح(2006). العقاب أسباب وآثار وحلول إجرائية. قسم التوجيه والإرشاد وكالة الغوث الدولية،بيروت،ط1.
10. Cresel Français, 1990, Panaff Michel Dictionnaire des sciences humaines Sociologie sociale.
11. Michaud (yves) laviolence, 1983, ED/ que sais je? P.U.F 2eme èdition-paris
12. Robert (paul), 1978, leRobertanalphabètipue et analogipue de la langue française .soeiètè du nouveau.(SNL) paris.
13. RoKerber Agression, 1972, violence dans le monde, ED lalmomlevy – paris Sillang (N), 1980,.Dictionnaire encyclopèdipue de psychologie (bordas).